الإسلامية» على أسوار المدينة المقدسة[77] للمرة الثانية في تاريخها. وقد استمر حصار صلاح الدين للمدينة اثني عشر يوماً. وبسقوط القدس، انهارت أمام القائد المسلم معظم المدن والمواقع التي كانت لا تزال تحت سيطرة الصليبيين في معظم أنحاء بلاد الشام.

دخل صلاح الدين القدس، إذن، يوم الجمعة في 27 رجب، وكانت ليلة الإسراء، فأمر بأن يوضع على كل باب من أبواب المدينة أمير من أمراء الجيش لكي يتسلم الفدية من الصليبيين الخارجين من المدينة ويحتسبها، وكان في المدينة «على الضبط، ستون ألف رجل ما بين فارس وراجل، سوى من يتبعهم من النساء والولدان»[78]. ويستطرد ابن الأثير: «ولا يعجب السامع من ذلك، فإن البلد كبير، واجتمع إليه من تلك النواحي، من عسقلان وغيرها، والداروم والرملة وغزة، وغيرها من القرى، بحيث امتلأت الطرق والكنائس، وكان الإنسان لا يقدر أن يمشي»[79]. إلا أن ابن الأثير يتهم الأمراء الذين كلفوا تقاضي أموال الفدية على الأبواب بالخيانة، إذ يقول فيهم إنهم «استعملوا الخيانة، ولم يؤدوا فيه أمانة، واقتسم الأمناء الأموال، وتفرقت أيدي سبأ، ولو أديت فيه الأمانة لملأ الخزائن وعمّ الناس»[80].

أما صلاح الدين فإنه، بعد أن استقر له الحكم في المدينة المقدسة، أمر بإعادتها إلى ما كانت عليه قبل احتلالها من الصليبيين، وكان هؤلاء قد أقدموا على تغيير الكثير من المعالم الإسلامية للمدينة، فزرعوا صليباً كبيراً مذهّباً على رأس قبة الصخرة، و «فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيّبوها» فنزع المسلمون الصليب عن رأس الصخرة، وأمر صلاح الدين بكشفها، وكان فرسان الداوية قد بنوا مباني لهم غرب المسجد الأقصى لكي يسكنوها، وأنشأوا فيها «هُري ومستراح وغير ذلك»، وأدخلوا قسماً من هذا المسجد في أبنيتهم، فأمر صلاح الدين «بإعادة

(77) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 11: 549، ورنسيمان، المرجع السابق، ج 2: 752، وكانت المرة الأولى يوم فتحها الخليفة عمر بن الخطاب عام 15هـ = 636م.
(78) ابن الأثير، م. ن. ص 549.
(79) م. ن. ص 549 ـ 550.
(80) م. ن. ص 549.